المعيَاريّة وَالنَحو العربيّ

د . حيدر حبيب حمزة
د . شكران حمد شلاكة
كلية الآداب
جامعـــة القادسيـــة

ملخص البحث:

أهمُّ

ما أسفر عنه علم اللغة الحديث ، هو مناهج البحث اللغوي ؛ وتوصف هذه المناهج بالحداثة ؛ لانها لم تعرف الا في القرنين التاسع عشر والعشرين .

وهذه الدراسة تبحث في جزء من هذه المناهج وهو – المعيارية – وطبيعة البحث تقتضي ان تكون في مبحثين . يتضمن المبحث الاول ثلاث فقرات هي :-

اولاً :- تعريف المعيارية .

ثانياً :- نشأة المعيارية .

ثالثاً :- اهم الامور التي تستند اليها المعيارية .

وتناولت في المبحث الثاني :-

اولاً :- المعيارية بين المنهج والفكرة .

ثانياً :- الفرق بين المعيارية والوصفية .

ثالثاً :- مظاهر المعيارية في النحو العربي .

وتشعبت مصادر البحث ، بين كتب النحو الاصول .. نحو : كتاب (الاصول) ، وكتب اصول النحو ، نحو : كتاب (لمع الادلة) و (الاغراب في جدل الاعراب) ، و (الاقتراح) ، وكتب علم اللغة نحو :- كتاب (علم اللغة العام) و (القضايا الاساسية في علم اللغة) ، وكتب مناهج البحث اللغوي نحو :- كتاب (المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي) ، و(منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث) ، و(مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة) .

المقدمة

اللهم أحمدك حمداً أتوسم فيه رضاك ، واستعين به على ذكرك ، والتمس به هداك ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله الطيبين الطاهرين ، وصحبه الكرام المنتجبين .

لقد حققت الإنسانية في العقدين الأخيرين قفزات كبارا في ميادين العلوم الطبيعية ، والإنسانية ، حتى إن بعض هذه العلوم قد شهد انقلاباً في مادته ، ومنهجه .

ولعل في مقدمة هذه العلوم علم اللغة ، الذي تمخض عن مناهج للبحث في اللغة ، والفت فيه الكتب ، والبحوث ، وظهر فيه نخبة من العلماء مثل :- فرينان دي سوسير وغيره ..

واهم ما أسفر عنه علم اللغة الحديث ، هو مناهج البحث اللغوي ؛ وتوصف هذه المناهج بالحداثة ؛ لانها لم تعرف الا في القرنين التاسع عشر والعشرين .

وهذه الدراسة تبحث في جزء من هذه المناهج وهو – المعيارية – وطبيعة البحث تقتضي ان تكون في مبحثين . يتضمن المبحث الاول ثلاث فقرات هي :-

اولاً :- تعريف المعيارية .

ثانياً :- نشأة المعيارية .

ثالثاً :- اهم الامور التي تستند اليها المعيارية .

وتناولت في المبحث الثاني :-

اولاً :- المعيارية بين المنهج والفكرة .

ثانياً :- الفرق بين المعيارية والوصفية .

ثالثاً :- مظاهر المعيارية في النحو العربي .

وتشعبت مصادر البحث ، بين كتب النحو الاصول .. نحو : كتاب (الاصول) ، وكتب اصول النحو ، نحو : كتاب (لمع الادلة) و (الاغراب في جدل الاعراب) ، و (الاقتراح) ، وكتب علم اللغة نحو :- كتاب (علم اللغة العام) و (القضايا الاساسية في علم اللغة) ، وكتب مناهج البحث اللغوي نحو :- كتاب (المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي) ، و(منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث) ، و(مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة) .

واخيراً لا اود ان ازكي للقارئ الكريم عملي في هذا البحث ، وبحسبي ان اقول : ان موضوعة جدير بالبحث ، ومحاولتي فيه لها ما للمحاولات الجادة من مشروعية الخطأ ونشدان الصواب .

مبحث الاول

اولاً :- تعريف المعيارية :

يرد في بحوث علماء اللغة المحدثين مصطلح المعيارية ويريدون بها القواعد والاحكام العامة التي يجب ان تراعي في اللغة ، لذا نجد الدكتور كمال بشر يقول :- ((... والمعيارية مبينة على اساس فكرة تقليدية مشهورة تمثلها العبارة الاتية : اللغة هو ما يجب ان يتكلمه الناس. وليست ما يتكلمه الناس بالفعل))(١) .

والمتأمل لهذا النص يجد :-

اولاً :- قوله (فكرة تقليدية مشهورة) تدل انه لم ينسبها الى احد ، ولم يحدد ملامحها .

ثانياً :- لم يصفها الدكتور كمال بشر بأنها منهج . ولم يحدد نشأتها بزمن معين(٢).

وحدها الدكتور تمام حسان بانها : (تتخذ القاعدة معياراً للاستعمال اللغوي ، مثلها في ذلك مثل المنطق القياسي)(٣). فالمعيارية عند الدكتور تمام حسان ان تبدأ بالكليات وتنتهي بالجزئيات .

وعرف ميشال زكريا القاعدة المعيارية بانها القواعد التي تمد متكلم اللغة بالاساليب التي يجب اتباعها لكي يتقن الكلام الجيد ، والتعبير الصحيح(٤) .

والمعيارية عند الدكتور رشيد العبيدي : (... تمثل قواعد واحكاما مثالية وقيماً عليا ، وضعت لتقويم اللغة والرجوع اليها والاحتكام الى اسسها وقواعدها عند الضرورة ...)(٥).

ولم يبعد الدكتور علي زوين عن هذا ، فهي عنده ميزان للتمييز بين الصواب والخطأ ، وتتخذ القاعدة اللغوية اساساً ومعياراً للاستعمال اللغوي(٦) .

ووصف كلاوس هيشن المعيارية بالمذهب العقلاني(٧) .

والمتفحص لهذه الحدود يجد الآتي :-

اولاً :- ارتباط المعيارية بالقاعدة اللغوية ، غير مستخلصة من اللغة المستعملة فعلاً ، وانما هي حدود مستقاة من كتب النحو .

ثانياً :- علاقة المعيارية بعصمة اللسان من اللحن في امور الاستعمال اللغوي . وهي بذلك تنشد المحافظة على الأصول اللغوية الصحيحة ، فهي تنشد الشواهد القديمة وتبرز اهمية محاكاتها(٨) .

ثانياً :- نشأة المعيارية :

يبدو ان المعيارية من المناهج اللغوية المعروفة عند الغرب ، قال الدكتور نوزاد حسن احمد : ((اما المنهج المعياري فانه اقدم المناهج المعروفة في الغرب حيث بدأت الدراسات اللغوية عندهم معيارية واستعمل لها (اللغة المعيارية standard languages) او مصطلح (التحكمي presective))) (٩) ، ويلحظ ان الباحث لم يحدد تاريخ قدم المعيارية عند الغرب .

اما عند العرب ، فقد قال الدكتور نعمة رحيم العزاوي : ((اذا كان المنهج الوصفي ينسب الى سوسير ، ويذكر حين يذكر . فان المعيارية

لا تنسب الى لغوي معين . ومن ثم لا توجد لها ملامح او سمات او اوصاف مكتوبة ، في مؤلف من مؤلفات احد اللغويين ، بحيث يكون هو صاحب هذا المنهج وانه قد وضعه وحدد معالمه اولاً . ثم سارت الابحاث اللغوية عليه من بعد...))(١٠) .

والذي يبدو ان المعيارية ظهرت بظهور القواعد التي تحكم اللغة ، وهي قديمة بقدمها ، فكما اختلف في الواضع الاول للنحو العربي ، كذلك لم يعرف لغوي معين تنسب اليه . ولم تحدد معالمها الدقيقة .

ويعد النحو العربي نحواً معيارياً بعد ان كان وصفياً ونلحظ هذا عند معظم النحاة ولاسيما المتأخرين منهم الذين جاؤوا بعد القرن الرابع الهجري . وقد صرح بذلك الدكتور تمام حسان ، قال : (... وانا الحظ هذه المعيارية الصارخة في كتب ابن هشام ، كالمغني ، والشذور ، وأوضح المسالك ....)(١١) . والى مثل هذا ذهب الدكتور محمد خير الحلواني ، قال :(... جاء نحوه – أي الانباري – منغمساً في المعيارية الى اذنيه ...)(١٢) .

ويمكن معرفة الاسباب التي دفعت النحاة صوب المعيارية وهي :-

١- **الغاية التعليمية** ، وتعد اهم اسباب جنوح النحاة الى المعيارية ، قال باحث معاصر في هذا الموضوع : ((... اني اريد ان اقول ان هذه العناصر – أي عناصر المعيارية – لم تظهر في مناهج البحث والتأليف لولا حاجة المتعلمين اليها في تعلم اللغة ، لذا(١٣) فلا يمكن القول ان المعيارية حالة طارئة على النحو او انها جاءت ترفاً فكرياً فرضه المنطق اليوناني على مناهج النحاة ذلك لان النحو لم يكن هو الآخر ترفاً فكرياً ... وانما كان النحو وليد حاجة ملحة املتها الظروف التي مر بها العرب بعد دخول اقوام غير عربية في الاسلام واستجابة لهذه الحاجة وضع النحاة تلك الضوابط ...))(١٤) .

٢- **تأثر النحو العربي بالمنطق الارسطي** ، لم يكن الحديث عن تاثر النحو العربي بالمنطق الارسطي موضع اتفاق اذ ذهب بعض الباحثين الى تاثير النحو العربي بالمنطق الارسطي ، قال الاستاذ احمد امين عن اثر اليونان والسريان في النحو العربي : ((وربما كان اكبر الاثر اثرا غير مباشر كاستخدام الة القياس والتوسع بواسطتها في وضع القواعد النحوية فلما نقلت الفلسفة اليونانية واشتغل بها المتكلمون اولا والفلاسفة ثانيا وعرفوا المنطق وما اليه تاثر النحو بذلك في قواعده وعلله)) (١٥) .

وقال الدكتور مازن المبارك في هذا الموضوع : ((... فاذا كانت قسوة المنطق على الشعر قد بلغت الدرجة التي اثارت البحتري ، على بعد ما بين المنطق والشعر فكيف به ... مع النحو منها على الخصوص ؟ والنحو منطق منذ سطر لانه قام على الاستقراء والتحليل)) (١٦) .

والى مثل هذا الراي ذهب الدكتور تمام حسان في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) عند حديثه عن سمة النحو العربي (١٧) .

ويلحظ انة صار من الشائع ان يقرنوا النحو العربي بالمنطق الارسطي ، دون فرز بين الحقبة التي وضع فيها النحو العربي متكاملا من الحقبة التي شاعت فيها بعض المصطلحات الفلسفية .

اما الاتجاه الاخر فيذهب الى عدم تاثر النحو العربي بالمنطق الارسطي ، عد الدكتور ابراهيم السامرائي ان مثل هذه الاراء وهما وظنا قال : ((ولقد تسرب الظن زالى نفر من الدارسين العرب في عصرنا هذا

ان النحو العربي قد وضع على نمط من النحو الاغريقي وان مصطلحاته ماخوذة من ذلك النحو)) (١٨) .

وقال الدكتور احمد مختار عمر : ((... فاننا نتردد كثيرا في قبول الراي القائل بوقوع النحو العربي تحت نفوذ اليونان ومجرد التشابه في تقسيم او اكثر او في بعض المصطلحات لا ينهض دليلا لاثبات مثل هذه الدعوى العريضة . وقد سبقنا ان راينا مثلا ان اقسام الكلام موجودة كذلك عند الهنود ، ولا شك انها موجودة ايضا عند شعوب اخرى ...)) (١٩) .

وقال باحث معاصر : ((لم يتاثر النحو العربي في نشأته الاولى ... باي من العلوم غير الاسلامية فلم يكن للمنطق ولا للفلسفة ولا لنحو امة اخرى اثر يذكر فيه وانما كان نتاج فكر عربي ...)) (٢٠) .

واستدل الدكتور صباح عباس السالم تاريخيا على عدم هذا التاثر قال : ((... فان تاثر اللغويين عامة والنحويين خاصة منطق ارسطو لم يقع الا في نهاية القرن الثالث الهجري على اقل تقدير . وهذا يعني ان تأثر النحويين للفقهاء وعلماء الكلام وقع وظهرت اثاره في الدرس النحوي قبل ثاثر النحويين منطق ارسطو ...)) (٢١) .

ويتضح مما تقدم ان تاثر النحو العربي في نشأته بالمنطق الارسطي غير مسلم بها – عدا القرون الاواخر – .

ولعل حرص النحاة على الحفاظ على اللغة من سنن التغيير والتطور دفعتهم الى دراسة اللغة دراسة معيارية ، فظهر المستوى الصوابي ، والخطأ ، وهذا مستوى رفيع ، وهذا مستوى رديء ، واخر شاذ لا تقبله معايير اللغة .

ثالثاً :- اهم الامور التي تستند اليها المعيارية :-

تعتمد المعيارية على جملةٍ من الامور ، تعد قوامها وهي :-

اولاً :- تعتمد المعيارية على المنطق العقلي ؛ ولذلك تفتقر الى البحث العلمي القائم على الملاحظة والتجربة والاستقراء ثم استنتاج القواعد ، قال الدكتور كمال بشر : ((...والا كان هذا الاسلوب المعياري مبنياً على التخمين والافتراض وما الى ذلك من القياس المنطقي ونحوه ، وكلها اسس واهية ضعيفة لا تصلح بحال ان تكون ادوات سليمة في خدمة البحث العلمي)).(٢٢)

واللغة بعدُ ظاهرة اجتماعية لا يمكن ان تدرس بمعزل عن واقعها الاجتماعي ، واذا حكمنا في دراستها المنطق اصبحت جزءاً من البحث المنطقي ، وهي ليست كذلك ؛ لان اللغة نتاج كل افراد المجتمع ، وهؤلاء الافراد ليسوا اجيالاً من الفلاسفة والمفكرين حتى يتحكم في لغتهم منطق ارسطو وقضاياه .

ثانياً :- العناية بسن القواعد للتمييز بين مستوى الصواب ، ومستوى الخطأ . فالهدف من المعيارية ، هو المستوى الصوابي للاستعمال اللغوي . ولكن هذا المستوى هو ضمن ما تسنه المعيارية من نموذج قواعدي ، تكون موافقته صواباً ومخالفته خطأ ، وبذلك تفقد المعيارية الوصف العام للاستعمال اللغوي . وتؤول ما خرج عن قواعدها قال الدكتور نوزاد حسن احمد في هذا الموضوع : (ان الابتعاد عن الاستقراء الطبيعي في استخلاص القواعد ،

وفرض القواعد على اللغة عن طريق اخضاع اللغة لها ترتب عليه اللجوء الى التأويل ...)(٢٣) .

ثالثاً :- الابتعاد عن الملاحظة الخالصة ، وفرض القواعد فرضاً ، وهذا من شأنه ان يحيل اللغة الى مجموعة من المقولات القواعدية ، مماثلة للمقولات المنطقية ، وقد لخص سوسير (ت ١٩١٣ م) خصائص الدراسة المعيارية للغة ووصفها بأنها :(تفتقر الى النظرة العلمية الصحيحة ، ولا ترتبط باللغة نفسها وليس لها هدف سوى وضع القواعد التي تميز بين الصيغ الصحيحة وغير الصحيحة ، فهي دراسة معيارية تبتعد كثيراً عن الملاحظة الصحيحة للحقائق ومجالها محدود ضيق ...)(٢٤) .

المبحث الثاني

اولاً :- المعيارية بين الفكرة والمنهج :-

اختلف علماء اللغة المحدثون بعد المعيارية من مناهج البحث اللغوي الحديث ، وهم في هذا على ضربين ، هما :-

الضرب الاول :- ذهب بعض الباحثين في مناهج البحث اللغوي الى ان المعيارية منهج من مناهج البحث اللغوي والمعيارية وفق هذا التصور منهج يصلح لدراسة اللغة في ضوئه ، وهي كباقي مناهج البحث اللغوي ، كمهج الوصفي ، او التاريخي ... ومنهم الدكتور اسماعيل احمد عمايرة ، قال : (... تتناسب ومتطلبات المنهج المعياري الذي تسير عليه...)(٢٥) .

فقد وصف الدكتور عمايرة المعيارية بانها منهج . وذهب الى مثل هذا الدكتور علي زوين ، قال : (... المنهج المعياري بخلاف المنهج الوصفي ...) (٢٦) .

وردد الدكتور نوزاد حسن مقولة الدكتور عمايرة المذكورة آنفاً ، وتابعه في الفكرة(٢٧) - بعدِّ المعيارية من مناهج البحث اللغوي :-

وعد كلاوس هيشن المعيارية من مناهج البحث اللغوي في كتابه الموسوم بـ(القضايا الاساسية في علم اللغة)(٢٨) .

الضرب الاخر :- ذهب فريق من الباحثين الى ان المعيارية ليست منهجاً من مناهج البحث اللغوي ، ومنهم الدكتور تمام حسان ، اذ يفرق بين ناحيتين من نواحي النشاط اللغوي هما الاستعمال اللغوي ، والبحث اللغوي . وباعد بين المعيارية ومنهج البحث اللغوي ، قائلاً ((... وربطنا بين المعيارية وبين أمور استعمالية ، واعتراضنا على الربط بينهما وبين المنهج ...))(٢٩) .

فالمعيارية عند الدكتور تمام حسان ليست منهجاً تدرس اللغة في ضوئه ، وإنما هي تصور معين للغة يراعيه المستعمل ولم يربط بين المعيارية والمنهج ، في حين رأى إن الوصفية هي المنهج الأمثل للدراسات اللغوية في الوقت الحاضر(٣٠) .

ويذهب إلى هذا الرأي الدكتور محمود فهمي حجازي ، قال : ((... أما النحو بالمعنى التعليمي المعياري أي بهدف وضع ضوابط الاستخدام (٣١) اللغوي الصحيح لأبنية المفردات وأبنية الجمل فهو مختلف - فيما يبدو - عن علم اللغة ، فعلم اللغة يبحث اللغة واللغات بهدف كشف جوانبها المختلفة ، لا بهدف الحكم بالخطأ والصواب على الاستخدام اللغوي ...))(٣٢) ، ونلحظ في هذا النص ان الدكتور محمود فهمي حجازي

يرى ان المعيارية مرتبطة بالنحو التعليمي ويباعدُ بين المعيارية وعلم اللغة ؛ لانه قال : (... فهو مختلف – فيما يبدو – عن علم اللغة) لاختلاف مفهوم الاثنين .

ويشير الدكتور احمد سليمان ياقوت إلى انه لم يجد مصطلح (المنهج المعياري) في المعجمات الأجنبية ، بل وجد فيها (المعيارية ، غير مقترنة بكلمة (منهج)(٣٣) .

ولم يربط الدكتور رشيد العبيدي بين المعيارية ومنهج البحث اللغوي . ولم تقترن كلمة المعيارية عنده بكلمة منهج ، وإنما قرنها بكلمة (اتجاه)(٣٤) . والاتجاه لا يرقى الى مرتبة المنهج المتكامل ، ولا الى مصاف النظرية .

ويرى الدكتور نعمة رحيم العزاوي ان المعيارية تظهر في دراسة اللغة مرتين :-

الاولى :- خلال عملية الوصف .

والاخرى :- بعد انتهاء الواصف من استخلاص قوانينها وصياغة نظامها .

وهدف المعيارية في المرة الاولى ، هو اطراد القواعد ، والحرص على تمثيلها للاستعمال العام للغة . وتجنب ما ينقضها من الشاذ والنادر.(٣٥)

والمتأمل لما مر يجد الاتي :-

اولاً :- ان اغلب علماء اللغة المحدثين لا يعدون المعيارية منهجاً من مناهج البحث اللغوي . ولا يمكن ان تدرس اللغة في ضوئها .

ثانياً :- يمكن عد المعيارية فكرة . تظهر بعد استكمال وصف قواعد اللغة . والهدف منها المحافظة على هذه القواعد .

ثالثاً :- المعيارية لاتقتصر على اللغة العربية ، بل هي موجودة في كل اللغات الاخرى ، ولكن العربية بحاجة اليها لعلاقتها بالقرآن الكريم(٣٦) .

ثانياً :- الفرق بين المعيارية والوصفية :-

حظي البحث في اللغة ، والكشف عن ظواهرها ، واستقراء اصولها .بأهتمام كبير من الباحثين ، ووضعت المناهج في دراسة اللغة .

ولكل منهج من هذه المناهج سمات وخصائص ، تختلف بعضها عن بعض ، وثمة اختلاف بين المعيارية والمنهج الوصفي ، إذ هما متقابلان ، وهذا الخلاف يتوضح في النقاط الاتية :-

اولاً :من حيث النشأة :- ان المنهج الوصفي وجد سبيله الى التطبيق على يد العالم فردينان دي سوسير ، ويعد كتابه (علم اللغة العام) كشفاً في المجال اللغوي (٣٧) في حين نجد ان المعيارية لا تنسب الى احد .

ثانياً :- حدوا المعيارية بأنها : ((تتخذ القاعدة في دراسة اللغة معياراً للاستعمال اللغوي))(٣٨)، وهي بهذا المفهوم منافية للمنهج الوصفي في البحث اللغوي الذي يعتمد الوصف اساساً في دراسة اللغة في مرحلة زمنية محددة ولهذا تنفع المعيارية في تعليم القواعد اللغوية وليس في البحث اللغوي ،

قال الدكتور كمال بشر : ((والمنهج المعياري بهذا الوصف هو ما سار عليه رجال النحو العربي من اول يوم حتى هذه اللحظة ، وهو منهج تعليمي في اساسه ، اذ هو يؤخذ وسيلة من وسائل تعليم اللغة وقواعدها ... على حين ان منهج الوصف هو منهج البحث الموضوعي وهو في الوقت نفسه صالح لان يتخذ اداة ناجحة في التعليم كذلك ...))(٣٩) .

ثالثاً :- نظرة الوصفيين الى أي انحراف في اللغة على انه محاولة من اللغة للدخول في مرحلة جديدة من التطور اللغوي .

في حين ان المعياريين ينظرون لهذا التطور على انه انحراف ، وخطأ يجب مقاومته والارشاد الى الفصيح الذي تطور عنه ، قال الدكتور كمال بشر : ((ومن الجدير بالذكر ان نوضح هنا ان المنهج الوصفي هو الآخر خليق بان يحافظ على اللغة ويرعى سلامتها ، ولكنه ينظر اليها على انها ظاهرة متطورة ، وانما قد ينظر اليه على انه لحن او تحريف ليس الا صورة من صور التطور والتغيير اللذين يلحقان باللغة على فترات الزمن))(٤٠) .

رابعاً :- المعيارية قوامها فرض القاعدة ، أي انها تبدأ بالكليات وتنتهي بالجزيئيات ، قال الدكتور علي زوين في هذا الموضوع : ((... المنهج المعياري بخلاف المنهج الوصفي ، قائم على فرض القاعدة أي يبدأ بالكليات وينتهي بالجزئيات))(٤١) ، بينما المنهج الوصفي يبدأ بجزئيات اللغة وينتهي الى صوغ القاعدة المستنبطة من الاستعمال اللغوي الجاري .

خامساً :- المعيارية لا تدرس اللغة في ذاتها ومن اجل ذاتها ، وانما تهدف الى غاية تعليمية ، وهي بذلك تختلف عن المنهج الوصفي الذي يدرس اللغة (في ذاتها ومن اجل ذاتها) .

سادساً :- تعتمد المعيارية على اللغة المكتوبة ، واتخاذها معياراً للصحة ، واساساً تبنى عليه القواعد ، في حين يعتمد المنهج الوصفي على اللغة المنطوقة المتحققة فعلاً ، وكان تأكيد سوسير هذا المبدأ – الاهتمام باللغة المنطوقة – رد فعل لما كان سائداً قبل ظهور منهجه من الاهتمام باللغة المكتوبة .

ثالثاً :- مظاهر المعيارية في النحو العربي :-

المتأمل في النحو العربي يجد مظاهر المعيارية واضحة فيه . وهذا الامر دفع الدكتور تمام حسان الى القول : ((.... انا الحظ هذه المعيارية الصارخة في كتب ابن هشام ، كالمغني والشذور ، واوضح المسالك ...))(٤٢) . وهذه المظاهر تتمثل في :-

اولاً :- الاحتجاج :-

الحجة هي :- (ما دل على صحة الدعوى) (٤٣) ، والاحتجاج يقتضي صحة احد الطرفين او احد النقيضين(٤٤) ، ويتخذ طريقين هما :-

الاول :- الاحتجاج النقلي :- وهو ما اصطلح عليه بالاستشهاد .

والاخر :- الاحتجاج العقلي :- وهو على ضربين هما :-

أ-الاحتجاج العقلي المستند على منطق اللغة .

ب-الاحتجاج العقلي الصرف المستند على المنطق العقلي المجرد(٤٥) .

ويعد الاستشهاد والاحتجاج من وادٍ واحد ، قال الدكتور محمد عيد : (... فكل من الاستشهاد والاحتجاج بهذا المعنى السابق يتلاقيان في مجرى واحد هو : سوق ما يقطع ويبرهن على

صحة القاعدة او الرأي...)(٤٦) .

وفي ضوء هذا يعد الاحتجاج اصلا من اصول علم النحو . وتناول ابو نصر الفارابي (ت٣٧٠ هـ) قضية الاستشهاد قال : ((... ثم من سكان البراري من كان في اوسط بلادهم ومن اشدهم توحشا وجفاء وابعدهم اذعانا وانقيادا ، وهم قيس وتميم واسد وطي ثم هذيل فان هؤلاء معظم من نقل عنه لسان العرب . والباقون فلم ياخذ عنهم شيء لانهم كانوا اطراف بلادهم مخالطين لغيرهم من الامم ...)) (٤٧) .

وبذلك يلحظ ان البحث اللغوي عند العرب بدأ بتلقي النصوص من الرواة ومشافهة الاعراب ، أي أعتمد الاستقراء منهجاً ، ثم انتهى عصر الاحتجاج ، وبدأ النحاة يتكلمون على القضايا النحوية واللغوية دون الاعتماد على الروايات المعاصرة ، واصبحت الروايات القديمة مقاييس لهم في طلب الصواب .

إن الاحتجاج النحوي غالباً ما يرمي الى تحقيق هدفين هما :-

الأول :- يعبر عن موقف الدفاع عن رأي خاص .

والآخر :- الدفاع عن رأي جماعة ، كأن يدافع نحوي من البصرة عن راي لاهل البصرة(٤٨) .

ثانياً :- القياس :-

لا شك في ان القياس يقف مقابل السماع في عرف النحاة ، وهو تقابل بين النقل والعقل ، فالسماع يعتمد على النصوص المسموعة ، والقياس يعتمد على النظر والعقل وعرف الرماني (ت ٣٨٤هـ) القياس : (الجمع بين اول وثان يقتضيه في صحة الاول صحة الثاني ، وفي فساد الثاني فساد الاول)(٤٩) .

اراد الرماني – رحمه الله – ان القياس هو الجمع بين الشيئين . وصحة احدهما – المقيس عليه – صحة الاخر .

وحده الانباري (ت ٥٧٧ هـ) بـ:(هو حمل فرع على اصل بعلة ، واجراء حكم الاصل على الفرع) او (هو الحاق الفرع بالاصل بجامع)(٥٠) .

والمتأمل في حدود القياس المذكورة آنفاً ، يصل الى ان النحاة قد اقتفوا اثر الفقهاء في القياس الذي يقوم على حمل الشيء على شبيهه لفظاً او معنى . قال الدكتور سعيد الزبيدي في هذا الموضوع : (بدأ القياس ونشا مع النحو ، ونما معه ايضاً منتقلاً اليه من علوم الشريعة ... ولكن دعت الحاجة اليه في الشريعة ثم أصبح منهجاً عاماً وطريقاً سائداً في كثير من فروع المعرفة ...)(٥١) .

ويتضح مما سبق ان القياس نشأ فطرياً ، وهذه النشأة لم تتجاوز عند النحاة القدماء ، وسيلة من الوسائل لتقويم كلام العرب وليس فيها مغالاة ، وانما ارساء المبادئ والاصول حتى يكون هناك شذوذ في القواعد العامة ثم نما وتطور فكانت له حدود وتقسيمات واركان وتحول الى صناعة ، ومسألة تدرك بالتأمل والنظر .

وبالغ بعض النحاة في الاخذ بالقياس ، حتى قال الانباري : (... اعلم ان انكار القياس في النحو لا يتحقق لان النحو كله قياس ، ولهذا قيل في حده : النحو علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب ، فمن انكر اقياس فقد انكر النحو ..)(٥٢) .

ثالثاً :- العلة :-

الإنسان بطبيعته يسأل عن كل ما يراه ،

وعن سبب وجوده وسبب نشوء ما يحيط به من مظاهر الحياة ، ويبحث عن علل تفسرها وتربط بعضها ببعض ، وتبين احوالها ودارس اللغة العربية ينصرف الى ايجاد علة لكل ما يراه من احكام فللمرفوع سبب ، وللمنصوب علة ، وللمجرور غاية(٥٣) وهذا يعني : (ان العلة النحوية قد نشأت وترعرعت منذ ان نشأت الدراسات النحوية ، ومن الطبيعي ان ينسب التعليل الى علماء العربية الاوائل ، ويكون التعليل مرافقاً للحكم النحوي منذ ان وجد النحو)(٥٤) .

ومن نتائج القول بالعلة ، نظرية العامل ، التي عدت من اهم اصول النحو ، كالقول ان العامل في رفع المبتدأ هو الابتداء ، والعامل في الفاعل هو الفعل ..الخ .

وعلق الدكتور مازن المبارك على موقف النحاة هذا بقوله : ((فإذا هم امام العلة او أمام العامل فلاسفة لهم قواعدهم واحكامهم ، فلا يجتمع عاملان مثلاً على معمول واحد ... الى غير ذلك من القواعد التي اطلقوها فاوجدت لهم في النحو ابواباً عجيبة التأويل معقدة الاسلوب ، وكانوا ينظرون الى العامل فيها على انه موجود ذو كيان ....))(٥٥) .

وعلل النحويين على ضروب هي :-

اولاً :- علل تعليمية :- وهي التي كانت مدار بحث النحاة في مرحلة نشأة التعليل ، وهي محققة لغاية النحو وتلقاها جميع النحويين بالقبول والتسليم ، حتى الذين انكروا العلل ، مثل ابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢ هـ) الذي ذكر ان العلل الاول بمعرفتها تحصل لنا المعرفة بالنطق بكلام العرب(٥٦) .

ثانياً :- ما اصطلح عليه النحاة بالعلل القياسية ، وهذه العلة تختلف عن سابقتها ، يقول صاحب الايضاح : (فاما العلة القياسية فان يقال لمن قال نصبت زيداً بان ، في قوله : إن زيداً قائم : ولم وجب ان تنصب (إن) الاسم ؟ فالجواب في ذلك ان يقول : لانها واخواتها ضارعت الفعل المتعدي الى مفعول ، فحملت عليه ، فأعملت اعماله لما ضارعته ...)) (٥٧) .

واطلق ابن السراج (ت ٣١٦ هـ) على هذا النوع (علة العلة)(٥٨) .

ثالثاً :- العلل الجدلية ، ويصفها الزجاجي بقوله :(واما العلة الجدلية النظرية ما يعتل في باب (إن) بعد هذا مثل ان يقال : فمن اي جهة شابهت هذه الحروف الافعال ؟ وبأي الافعال شبهتموها ؟ ابا الماضية ، ام المستقبلة ، ام الحادثة في الحال ...)) (٥٩) .

وعلق الدكتور علي ابو المكارم على هذه العلل ، قال : (يبدأ بالتعليل لكل هذه العلل منطقاً من الفرض ،وليس في الواقع ، ويهدف الى تأييده عن طريق التبرير(٦٠) العقلي المنطقي)(٦١) .

وقد دعا ابن مضاء القرطبي الى اسقاط العلل الثواني والثوالث من النحو العربي(٦٢) ، وذلك لامرين ، هما :-

الاول :- لا حاجة لكلام العرب اليها ، فإذا قال قائل : لم رفع الفاعل ؟ فالصواب ان يقال له كذا نطقت به العرب ، وثبت ذلك بالاستقراء من الكلام المتواتر(٦٣) .

والاخر :- هذه العلل ترد لامور لا شأن لها باللغة ، فهي اما ان تقطع تطلع السائل بعد العلة الاولى ، او لسد ضرورة ذهنية(٦٤) .

(١) التفكير اللغوي بين القديم والجديد : ١٧٥ .

(٢) ينظر مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة : ١٤٣ .

(٣) اللغة بين المعيارية والوصفية : ٢١ .

(٤) ينظر الالسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والاعلام : ٢٠١ .

(٥) فقه اللغة (العبيدي) : ١٧ .

(٦) ينظر فقه اللغة (علي زويـن) ، ملزمة اعدها لطلبة المرحلة الرابعة ، قسم اللغة العربية ، كلية التربية ، جامعة القادسية : ١٧٤ .

(٧) ينظر القضايا الاساسية في علم اللغة : ١٥٣ .

(٨) ينظر الالسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والاعلام : ٢٠١ .

(٩) المنهج الوصفي في كتاب سيبويه : ٣٠ .

(١٠) مناهج البحث اللـغوي بـين الـتراث والمعاصرة : ١٤٣ .

(١١) اللغة بين المعيارية والوصفية : ٢٦ .

(١٢) نشاة النحو وتطوره : ٤٠٥ .

(١٣) الصواب (لذا) بدون الفاء ، لانه لا يجمع بين اداتين للتعليل في موضع واحد .

(١٤) مناهج التاليف النحوي من سيبويه الى ابن هشام (رسالة ماجستير) كريم حسين ناصح : ٣٨٥ .

(١٥) ضحى الاسلام ٢/ ٢٩٣.

(١٦) النحور العربي (العلة النحوية) نشأتها وتطورها : ٧٤ .

(١٧) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ١٣ .

(١٨) العربية تواجه العصر :٧ .

(١٩) البحث اللغوي عند العرب ٢٣٩.

(٢٠) مناهج التاليف النحوي من سيبويه الى ا بن هشام (رسالة ماجستير) كريم حسين ناصح : ٤٢٦.

(٢١) تاثر النحو العربي النحو اليوناني النحو السرياني ، بحث للدكتور صباح عباس السالم ، مجلة القادسية ، جامعة القادسية ، عدد ١ ، سنة ٢٠٠٢ م : ١٨٠.

(٢٢) التفكير اللغوي بين القديم والجديد : ١٧٧ .

(٢٣) المنهج الوصفي في كتاب سيبويه : ٣٠ .

(٢٤) علم اللغة العام : ١٩ .

(٢٥) تطبيقات في المناهج اللغوية : ١٢٤ .

(٢٦) منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث : ٢٣ .

الهوامـش

(٢٧) ينظر المنهج الوصفي في كتاب سيبويه : ٣٠ .

(٢٨) ينظر القضايا الاساسية في علم اللغة : ١٥٣ – ١٦٦ .

(٢٩) اللغة بين المعيارية والوصفية : ٥ .

(٣٠) ينظر نفسه : ٤ –٥ .

(٣١) الصواب :– الاستعمال ، في النص كله .

(٣٢) علم اللغة العربية : ٤٢ – ٤٣ ، هامش رقم (١٦) .

(٣٣) ينظر الكتاب بين المعيارية والوصفية : ١٦ ، نقلاً عن كتاب (مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة) : ١٤٥ .

(٣٤) ينظر فقه اللغة (رشيد العبيدي) : ١٨ .

(٣٥) ينظر مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة : ١٤٥ .

(٣٦) ينظر نفسه : ١٤٦ .

(٣٧) ينظر المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي : ١٨٢ – ١٨٣ .

(٣٨) اللغة بين المعيارية والوصفية : ٢١ .

(٣٩) التفكير اللغوي بين القديم والجديد : ١٧٦ .

(٤٠) نفسه : ١٧٦ – ١٧٧ .

(٤١) منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث : ٢٣ .

(٤٢) اللغة بين المعيارية والوصفية : ٢٦ .

(٤٣) التعريفات : ٧٢ .

(٤٤) ينظر الاحتجاج العقلي في النحو العربي (رسالة ماجستير) : ١٢ .

(٤٥) ينظر نفسه : ٩ .

(٤٦) الرواية والاستشهاد باللغة : ١٠٢ .

(٤٧) كتاب الحروف ، (للفارابي) : ١٤٧ .

(٤٨) ينظر الاحتجاج العقلي في النحو العربي : ٩ .

(٤٩) الحدود (للرماني) : ٣٨ .

(٥٠) لمع الادلة في اصول النحو : ٩٣ .

(٥١) القياس في النحو العربي شأنه وتطوره (رسالة دكتوراه) : ٧٧ .

(٥٢) الاغراب في جدل الاعراب : ٩٣ .

(٥٣) ينظر دراسات في كتاب سيبويه : ١٥٥ .

(٥٤) العلة النحوية – تاريخ وتطور – حتى نهاية القرن السابع الهجري : ٧ .

(٥٥) النحو العربي – العلة النحوية : نشأتها وتطورها : ٩٩ .
(٥٦) ينظر الرد على النحاة : ١٥٢ .
(٥٧) الايضاح في علل النحو : ٦٤ .
(٥٨) الاصول في النحو (ابن السراج) ١: ٣٥ .
(٥٩) الايضاح في علل النحو : ٦٥ .
(٦٠) الصواب : التسويغ .
(٦١) اصول التفكير النحوي : ١٩٠ .
(٦٢) ينظر الرد على النحاة : ١٥١ – ١٥٢ .
(٦٣) ينظر نفسه : ١٥١ .
(٦٤) ينظر نفسه : ١٣٠ – ١٣١ .

المصادر

اولاً الكتب المطبوعة :-

١- اصول التفكير النحوي أ.د. علي ابو المكارم ، مطابع دار القلم ، بيروت – لبنان ١٣٩٢ / ١٣٩٣ = ١٩٧٣م .

٢- الاصول في النحو ، محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي (ت٣١٦هـ) ، تحقيق : د. عبد الحسين الفتلي ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان . ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م .

٣- الاغراب في جدل الاعراب ، ولمع الادلة في اصول النحو ، عبد الرحمن كمال الدين محمد الانباري (ت ٥٧٧هـ) ، تحقيق : سعيد الافغاني ، الطبعة الثانية أ دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩١هـ – ١٩٧١م .

٤- الاقتراح في علم اصول النحو ، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطي (ت٩١١هـ) . تحقيق : احمد محمد قاسم ، الطبعة الاولى مطبعة السعادة ، القاهرة. ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م .

٥- الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والإعلام ، ميشال زكريا ، الطبعة الثانية ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

٦- الايضاح في علل النحو ، عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي (ت٣٣٧هـ) ، تحقيق: د.مازن المبارك ، الطبعة الثالثة ، دار النفائس ، بيروت ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

٧- البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التاثير والتاثر ، د. احمد مختار عمر ، الطبعة الثانية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م.

٨- تطبيقات في المناهج اللغوية ، د. اسماعيل احمد عمايرة ، دار وائل ، عمان – الاردن ،٢٠٠٠م .

٩- التعريفات ، علي بن محمد بن علي السيد الزين الجرجاني (ت ٨١٦هـ) دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد – العراق ،١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .

١٠- التفكير اللغوي بين القديم والجديد (الفرقة الرابعة) ، د. كمال بشر، دار الثقافة العربية ، دمشق – سوريا ، د.ت .

١١- الحدود في النحو ، علي بن عيسى بن علي الرماني(ت ٣٨٤هـ) ، ضمن رسائل في النحو واللغة ، حققها وشرحها د. مصطفى جواد ويوسف يعقوب مسكوني. دار الجمهورية ، بغداد ، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩م .

١٢- دراسات في كتاب سيبويه ، د. خديجة الحديثي ، دار غريب للطباعة ، القاهرة ، د.ت

١٣- الرد على النحاة ، احمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مضاء اللخمي (ت٥٩٢هـ) ، تحقيق : د. شوقي ضيف ، الطبعة الأولى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م .

١٤- الرواية والاستشهاد باللغة دراسة لقضايا الرواية والاستشهاد في ضوء علم اللغة الحديث ، د. محمد عيد ، مطبعة دار نشر الثقافة القاهرة ، ١٩٧٦م .

١٥- ضحى الاسلام ، احمد امين ، الطبعة الثالثة ، مكتبة النهضة المصرية ، لجنة التأليف والترجمة ، ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م .

١٦- العربية تواجه العصر ، د. ابراهيم السامرائي ، سلفسلة الموسوعة الصغيرة (١٠٥) ، منشورات دار الجاحظ للنشر ، بغداد ، ١٩٨٢م.

١٧- علم اللغة العام ، فرديناند دي سوسير ، ترجمة د. يوئيل يوسف عزيز ، مراجعة د.مالك يوسف المطلبي ، دار آفاق عربية ، بغداد ، ١٩٨٤م .

١٨- علم اللغة العربية مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية ، د. محمود فهمي حجازي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ،١٩٧٣م .

١٩- فقه اللغة ، د. رشيد عبد الرحمن العبيدي ، مطبعة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد - كلية التربية الاولى (ابن الرشد) ، ١٩٩١م .

٢٠- فقه اللغة ، د. علي زوين ، ملزمة لطلبة المرحلة الرابعة قسم اللغة العربية ، كلية التربية - جامعة القادسية ، ١٩٩١ - ١٩٩٢م .

٢١- في علم اللغة العام ، د. عبد الصبور شاهين ، الطبعة الثالثة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

٢٢- القضايا الاساسية في علم اللغة ، تأليف كلاوس هشين ترجمة : د. سعيد حسن بحيري ، الطبعة الاولى ، مؤسسة المختار ،القاهرة - مصر ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٢٣- كتاب الحروف ، لابي نصر الفارابي (٣٧٠هـ) ، تحقيق : محسن مهدي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٧٠م.

٢٤- اللغة بين المعيارية والوصفية ، د. تمام حسان ، دار الثقافة ، الدار البيضاء - المغرب - ١٩٥٨م .

٢٥- اللغة العربية معناها ومبناها ، د. تمام حسان ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣م .

٢٦- مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة أ.د. نعمة رحيم العزاوي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .

٢٧- منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث ، د. علي زوين ، الطبعة الاولى، دار

الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦م .
٢٨- المنهج الوصفي في كتاب سيبويه ، د. نوزاد حسن احمد ، الطبعة الاولى ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي – ليبيا ، ١٩٩٦م .
٢٩- النحو العربي ، العلة النحوية نشأتها وتطورها ، د. مازن المبارك ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، ١٣٩١هـ – ١٩٧١م .
٣٠- نشأة النحو وتطوره ، محمد خير الحلواني ، الطبعة الاولى مطبعة السعادة ، القاهرة ،١٩٧٠م .
ثانياً :- الرسائل الجامعية :-
٣١- الاحتجاج العقلي في النحو العربي ، رسالة تقدم بها : محمد جواد محمد سعيد الطريحي، الى مجلس كلية الاداب – الجامعة المستنصرية وهي جزء من متطلبات نيل درجة ماجستير آداب في اللغة العربية ، باشراف :أ.د. صاحب ابو جناح ، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م .
٣٢- القياس في النحو العربي نشأته وتطوره ، رسالة تقدم بها سعيد جاسم الزبيدي ، الى مجلس كلية الاداب – جامعة بغداد ، وهي جزء من متطلبات درجة الدكتوراه آداب في اللغة العربية ، اشراف د. فاضل صالح السامرائي . ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .
٣٣- مناهج التأليف النحوي من سيبويه الى ابن هشام ، رسالة تقدم بها : كريم حسين ناصح ، الى مجلس كلية الآداب – جامعة بغداد .وهي جزء من متطلبات نيل ماجستير آداب في اللغة العربية بأشراف : د. حسام سعيد النعيمي ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م

ثالثا : البحوث :-
٣٤- تأثر النحو العربي النحو اليوناني النحو السرياني ، د. صباح عباس السالم ، مجلة القادسية ، جامعة القادسية ، العدد ١ ، مجلد ٢ ، سنة ٢٠٠٢م .